

الفصل الحادي عشر:

فلسطين تحت الاحتلال الروماني

نظيمة سعد الدين

حيثما نضع أقدامنا، فنحن إنما نمشي على التاريخ^(*).

ينطبق هذا القول على الأرض الواقعة جنوبي سورية، وشرقي البحر المتوسط، أي فلسطين، فهي، أرض صنعت التاريخ، وصنعها، أيضاً^(٤٤).

إن القطر الذي يمثل ملتقى طرق العالم، ومفارقها، لا يسمح لبنيه بأن يهجعوا، أو يعرفوا الراحة، فالجيران الأقربون، والطامعون الأبعدون، لا بد أن يُحدثوا - دغدغة، أو لكزاً، أو سلباً، أو نهباً، أو حرباً، أو سيياً، أو تهجيراً. فكانت تجربة فلسطين، خلال القرون العشرة بين احتلال الاسكندر للبلاد والفتح العربي لها، تجربة فذة في أبعادها، وعناصرها، ونتائجها. ولعل العنصر الأول الذي يجب أن يذكر هو " المدينة "، وما يرافقها من تنظيمات وإدارة. ويذكر أن خلفاء الاسكندر الاكبر، ورجالهم من الرومان، حملوا إلى فلسطين وسائل علمية، أكثر تقدماً من بعض ما عرف في المشرق من قبل. ففي النواحي المدنية أدخلت أساليب لبناء الطرق، وإقامة الجسور. وفي المجال العسكري، بنيت قلاع وحصون أكثر متانة من ذي قبل. وفي المجال الاقتصادي ادخل نظام النقد إلى البلاد، وأنشئت المصارف، وطورت، ونظمت رابطات التجارة^(٤٥).

بالنسبة للاسم، كتب هيرودوتس، قبل ميلاد المسيح بأربعة قرون:
"... يعرف هذا الجزء من سورية بفلسطين". ومع مرور الأيام، حمل
اسم

"بالستين" محل الاسم الشامل: "سورية الفلسطينية". وبهذا المعنى
استخدم كلمة "بالستين" كل من المؤرخ اليهودي، جوزيفوس (٣٧ - ٥٩ م)
وفيلو

(٣٠ ق - ٤٠ م). وتوجد هذه الكلمة في العبرية، باسم "بلشيت". وفي
حقيقة الأمر، فإن اليونانيين هم الذين اختاروا هذا الاسم، وأصبحوا
يطلقونه، على كل أجزاء فلسطين، وانتقل منهم هذا الاسم إلى الرومان،
والبيزنطيين. وكان الرومان قسموا فلسطين، في سنينهم الأخيرة، إلى
ثلاثة أقسام^(٤٦):

١ - بالستين الأولى، يطلق على يهودية.

٢ - بالستين الثانية، يطلق على الجليل.

٣ - بالستين الثالثة، يطلق على الأجزاء الباقية في جنوب البلاد.

لذلك نفرد الصفحات التالية لفلسطين في العهد الروماني، لأهمية تلك
الفترة من تاريخ فلسطين، ويمكن لنا، من خلال التعرف على جذور
فلسطين العربية، ومكافحتها للاحتلال، على مر العصور، لتكون نبراسا
يضيء لنا بالامل، مستقبل فلسطين.

رومة تحتل فلسطين:

بدأت روما تتدخل في شؤون المشرق، منذ مطلع القرن الثاني قبل الميلاد؛ لأن ما أصاب الدولة السلوقية من الضعف بسبب الحروب الخارجية والداخلية، وما أصاب منطقة سورية - الفلسطينية من اضطراب وخراب بسبب حرب المكابيين - ثم انتصار الرومان على انطوخن الثالث، في معركة مغنيزيا (١٩٠ ق. م.)، شجع الرومان على التدخل. وجدير بالذكر أن المكابيين أقاموا صلات خاصة مع روما، حتى قبل ان تصل جيوشها إلى سوريا. ومع ما كان لروما من ثقل ونفوذ في حوض المتوسط الشرقي، فقد ظلت تدير الأمور هناك من بعيد إلى سنة (٦٥ ق. م.)، ففي تلك السنة دخلت الجيوش الرومانية كيليكيا، في طريقها إلى سوريا وفلسطين، وكانت هذه الجيوش تحت إمرة بومبي. وكان بومبي قد اعتزم تصفية الدولة السلوقية من جهة، وتنظيم غرب آسيا على الطريقة الرومانية من جهة أخرى^(٤٧).

أرسل بومبي وكيله سكاوروس إلى سوريا، سنة (٦٥ ق. م.)، وقد التقى الوكيل، في دمشق، بالأخوين المتنافسين على عامة الجماعة الدينية في بيت المقدس، وهما هركانوس، وأرستوبولس، من الاسرة الحشمونية. فبعد وفاة الكندر سلومه (٧٦ - ٦٧ ق. م.)، تعرضت الاسرة الحاكمة للانحطاط وحتى الاحتلال. فقد تولى هركانوس منصب الكاهن الأعظم، لكن أخاه ارستوبولس اخرج من بيت المقدس، وتولى مكانه فلجاً هركانوس إلى ملك الأنباط. وقد أعانه هذا، كما جاءه العون من انتيبياتر الادومي، وبذلك عزل ارستوبولس، لكن هذا اعتصم بالهيكل. وقد عرض

كل من المتنافسين على القائد الروماني مبلغا من المال، مقابل نصرته. وانتهى الامر بأن أيد سكاوروس ارستوبولس في منصب الكاهن الأعظم. وفي السنة التالية دخل بومبي نفسه سوريا، وقضى شتاء (٦٤ - ٦٣ ق. م) في الشمال، ثم انتقل في الربيع (٦٣ ق. م) إلى دمشق. وهناك استقبل مندوبا عن ارستوبولس (كان يحمل وعدا بمبلغ كبير) وآخر هو انتيباتر الادومي، وكيلا عن هرناكوس، ثم جاء الأخوان بالذات إلى خضرة بومبي. وقد وصل ثالث، يمثل فئات من الجماعة الدينية في بيت المقدس. وهذا طالب بإقصاء الأخوين عن السلطة، ووضع حد نهائي لأسرة الحشمونيين، وسيادتها، بسبب ما جرته هذه الأسرة على البلاد من نكبات^(٤٨).

جدير بالذكر أن الشيء الذي اقتضى مجيء بومبي إلى القدس هو أن ارستوبولس لم يمثل لوساطة بومبي، بل رجع إلى القدس يستعد للثورة، وقد نزع بومبي لقب (الملك) الذي انتحله حكام القدس في نهاية العهد السلوقي، ثم نصب "هيركانوس الثاني" كبير الكهنة، وقتل بومبي كثير، من اليهود المشاغبيين، وأخذ معه ارستوبولس إلى روما، وحطم اسوار القدس، فوضع حدا للدولة اليهودية. وبتر بومبي الاجزاء الاخرى من أيدي اليهود، ونقلها إلى الحاكم الجديد، الذي أقامه في سوريا. واستمرت الأسرة المكابية في ظل الرومان^(٤٩).

هكذا وضع بومبي حدا للصراع الذي شهدته مملكة يهوذا الصغيرة

في فلسطين، بين الصدوقيين، وهم الكهانة. وكانوا مترمتين، فهم يتمسكون بحرفية "التوراة" الخمس كتب الأولى من العهد القديم، وكانوا

يعادون الفارسيين الذين أضافوا فيضا من التقاسيم والسنن، والتقاليد الموروثة والتي نسخها الكتبة والاحبار من اليهود القدماء، وهم الذين وضعوا أساس

” التلمود ”، وكان معظمهم ينتمي إلى الطبقة الوسطى والدنيا، والتي رفضت مشاعر التأغرق، والاخذ بأساليب الحضارة الاغريقية رومانية، مثلما فعل الصدوقيون^(٥٠).

لقد كان نجاح بومبي في الشرق الأوسط ساحقاً؛ لأنه، للمرة الأولى، ثبتت أقدام الإمبراطورية الرومانية في الشرق. وظلت هذه الاقدام ثابتة في سوريا، حتى انقسام وسقوط الإمبراطورية^(٥١).

وضع انتيباتر ابيه - فصايل وهيرودس - على المسرح، فأعطى ادارة منطقة بيت المقدس، وبيريا لفصايل، وعهد إلى هيردوس بإدارة الجليل، وسمى كلا منها ” ستراتاغوس ”. وقد أثار هذا التصرف حنق الكهنة والجماعة الارستقراطية في بيت المقدس. فجربوا أن يحاكموا هيرودس، لأنه قتل لصوصا، كانوا يعيشون فسادا في الجليل، دون أن يقدمهم للمحاكمة أمام (السنهدريم)، فكان في تصرفه تعد على حقوق هذا المجلس. لكن المجلس، في بيت المقدس، لم يجرؤ على ذلك، لأن هيرودس قاد فرقة عسكرية ضد بيت المقدس. ولولا تدخل أبيه (انتيباتر)، لكان اقتحم المدينة لتأديب المجلس أو معاقبته^(٥٢).

حدث آخر أزعج الدولة الرومانية، في آذار/ مارس سنة (٤٤ ق. م) إذ اغتيل يوليوس قيصر، وجاء أحد المتآمرين عليه، كاسيوس، واليا على سوريا (٤٤ - ٤٢ ق. م.) فاستغل جميع مصادر الولاية المالية

لمصلحته، الأمر الذي أثار استياء الجماهير السورية. وقد وقف انتيباتر إلى جانب كاسيوس، ولذلك ازدادت نقمة الجماعة الدينية في بيت المقدس عليه. وأخيرا سُم انتيباتر، نتيجة مؤامرة أساسها عداا شخصي (بسبب دفعه لأبنية لمسرح الأحداث). الا ان ابنه كانا قد ثبتا مكانتهما، بحيث أن وفاة الأب لم تؤثر على مركزيهما. وقد تمكنا من قتل الشخص الذي دس السم لأبيهما. وعاد أنتيغولس (ابن ارستوبولس) إلى العمل العسكري، فهاجم الجليل، لكن هيرودس انتصر عليه، وأخرجه من المنطقة بأسرها. وهذا وثق الصلة بين هيرودس وهركانوس (الكاهن الاعظم) وجاءت سنة (٤٢ ق. م)، وحملت الفوز النهائي في معركة فيليببي لأنطونيوس، وأكتافايوس، ضد كل من تبقى من قتلة يوليوس قيصر، فأوكل أمر ادارة المشرق لأنطونيوس. وعندها تعددت الوفود إلى أنطونيوس من قبل الجماعة الدينية في بيت المقدس، أملا في أن يقصى فصايل أخاه هيرودس، ولكن المحاولات باءت بالفشل^(٥٣).

في سنة ٤٠ ق. م. هاجم الفرس البلاد. وفي هذه الاثناء كان حاكم ايدومية غير يهودي (أنتى بيتر) الأجنبي الجنسية، الذي سبق وأن ساعد اليهود في الحصول على دعم الانباط، وكان أن زاد سلطانه كثيرا، عندما أصبح هيركانو - كبير الكهنة اليهودي - غير ذي أهمية. فأعطى القيصر "سيزار" أنتى بيتر المواطنة الرومانية، ومنحه لقب "حاكم يهودية"، سنة

(٤٧ ق. م)، ونصب ابني أنتى بيتر، (فصايل) حاكما على القدس، و(هيرودس) حاكما على الجليل (شمالي فلسطين، حيث كانت إسرائيل).

وقد قتل أنتى بيتر في القدس على يد اليهود. والاخ الثاني لهركانوس، (أنتى جونوس)، الذي كان يكافح للحصول على عرش القدس، اتصل بالقدس، وجاء مع جيشهم، وحاز على ثقمت، فنصبوه ملكا على اورشليم، وكبيرا للكهنة (وهو المنصب الذي ظل الحكام المكابيون يحتفظون به في الحكم الثيوقراطي). وانتحر فصايل، وهرب الأخ الثاني " هيرودس " إلى روما، يستصرخ حلفاءه. واستمر أنتى جونوس، من الفرس، يحكم أورشليم ثلاث سنوات حكما مضطربا، إلا أن اليهود رحبوا به بسبب انتمائه إلى المكابيين، ورفضهم أسرة أنتى بيتر - التي كان يمثلها هيرودس - لأنها كانت غير يهودية. والحقيقة أن أنتى بيتر هذا كان قد اعتنق اليهودية، مضطرا للاحتفاظ بالحكم، ولاسترضاء اليهود^(٥٤).

في روما أصدر مجلس الشيوخ قرارا بتعيين هيرودس ملكا على يهودية، سنة (٣٩ ق. م.)، ورجع هيرودس إلى فلسطين سنة (٣٩ ق. م.) وعقب ذلك بسنتين، استطاعت القوات الرومانية التي أتت مع هيرودس طرد الفرس (الذين ظلت لهم شعبية كبيرة في فلسطين). وقتل هيرودس، حين دخوله القدس بعد حصار خمسة أشهر، عددا لا يحصى من سكانها. وتزوج هيرودس من احدى بنات اسرة انتى جونوس، الا أنه قتل هذا الأخير، شر قتلة، حين وقع في أيديه، وكان ذلك بضرب رأسه بالفأس، وكانت هذه أول مرة ينزل فيها الرومان مثل هذا العقاب بملك ما. ومجئ هيرودس التابع للرومان، والايديومي غير اليهودي، اسبغ على فلسطين سلاما لم تنعم به، حتى في أيام الاستقلال. وقد اتسم عصر هيرودس الطويل (٣٧ ق. م - ٤ ق. م) بالرفاهية العامة، واستطاع استعادة

الاراضي التي كان بومبي قد استولى عليها، نظم الادارة على النمط الهليني. وكان هيرودس من أنصار الرومان، الذين كان يدين لهم في ارتقائه عرش أورشليم، وكان ضد

” القومية اليهودية ” لذا كرهه اليهود. وبعد موت هيرودس، عادت الفوضى إلى البلاد، بسبب كثرة أبنائه من زوجاته العشر، فأقام الرومان حكما مباشرا على البلاد^(٥٥). كما سنذكر لاحقا. ولكن قبل أن نذكر كيف تحولت فلسطين إلى ولاية رومانية، وجبت الإشارة إلى الولايات الرومانية، وإلى طبيعة العلاقة بين الولايات ورومة، وهذا ما سنفرده فيما يلي:

رومة والولايات:

كانت الوصمة التي يوصم بها رخاء إيطاليا - إذا أغضضنا النظر عن نظام الاسترقاق، الذي كان نظاما عاما في الدول القديمة - هي اعتمادها إلى حد ما على استغلال الولايات، لقد كانت إيطاليا معفاة من الضرائب لأن الولايات كانت تؤدي لها الشيء الكثير، نهباً أو خراجاً، ومن هنا نجد أن النهب والخراج كانا اصل الثروة التي نشأ عنها ازدهار المدن الإيطالية. وكانت رومة، قبل عهد قيصر، تعد الولايات أقاليم تمتلكها بحق الفتح، وتعد سكانها رعايا رومانيين، ولم يكن منهم الا عدد قليل يعدون ضمن المواطنين الرومان؛ وكانت ارض تلك البلاد بأجمعها ملكا للدولة الرومانية، يملكها اصحابها على أنها منحة لهم من قبل الحكومة الإمبراطورية، ومن حقها ان تستردها منهم. وأرادت رومة أن تقلل من احتمال قيام الثورات في الأقاليم المفتوحة، فقسمتها إلى ولايات

صغيرة، وحرمت على كل ولاية ان يكون بينها وبين غيرها من الولايات معاملات سياسية مباشرة، وكانت تفضل رجال الأعمال على الطبقات الدنيا في جميع الولايات. وكان سر الحكم الروماني، وشعاره هو " فرق تسد " (٥٦)

لقد اتبعت الإمبراطورية الرومانية خطة مرنة حكيمة، امكثها بها تقسيم الولايات الخاضعة لسلطانها اقساماً متفاوتة في المرتبة، وتقسيم الأهلين في داخل كل ولاية إلى طبقات، متفاوتة القدر، كذلك، كانت بعض البلديات كأثينة ورووس " مدنا حرة " تعطى جزية، ولا تخضع لحاكم الولاية، وتدير شؤونها الداخلية بنفسها، من غير أن تتدخل فيها رومة، ما دامت تحافظ على النظام الاجتماعي والسلم. وكان حاكم الولاية يجمع في شخصه السلطة التشريعية، والتنفيذية، والقضائية، ولم يكن يحذ من سلطانه إلا من المدن الحرة، وحق المواطن الروماني في أن يلجأ إلى الأمبراطور، والرقابة المالية التي كان يقوم بها الكوستر، أو الرقيب^(٥٧).

كانت جباية الضرائب أهم أعمال الحاكم وأعوانه، وقامت الدولة في عهد الإمبراطورية باحصاء عام في كل الولايات، بقصد فرض الضرائب على الأرض، وعلى الأملاك، ومنها الحيوانات، والعبيد.

وأرادت الدولة أن تشجع زيادة الإنتاج، فاستبدلت بالعشور خراجاً محدد القيمة. ولم يعد الملتزمون هم الذين يجبون الضريبة، وأن ظلوا يجبون بعض العوائد الجمركية من الثغور، ويُسرفون على الأعمال الجارية في غابات الدولة، ومناجمها، وعلى الأشغال العامة فيها. وكان ينتظر من الولايات أن تسهم بعمل تاج من الذهب لكل امبراطور جديد،

وأن تقوم بتكاليف إدارة الولاية، وأن ترسل، في بعض الحالات، سفنا محملة بالغلل إلى رومة. وكان للحكومة المحلية، أو للوالي، بمقتضى هذه العادة، أن

” يطلب ” إلى الأغنياء أن يقدموا قروضا للعرب، وسفنا للأسطول، ومباني للاغراض العامة، وطعاماً لضحايا القحط، ومغنين في الأعياد والمسرحيات^(٥٨).

وفاة هيرودس:

لما توفي هيرودس، ترك لأولاده الثلاثة وصية، بما كان تحت حكمة ملكاً. الملك لأرخلاوس، مع إدارة القسم الأكبر من فلسطين، ولانتيباس تتراخية الجليل وبيريا، وتتراخية البثنية والجولان، وجزء من خوران لفليب. لكن هذه الوصية كانت بحاجة إلى موافقة الامبراطور أغسطس، قبل أن تصبح نافذة. وبعد عرضها عليه منح أغسطس (أرخلاوس) ما أوصى به أبوه، لكنه لم يجعله ملكاً بل اثنارخا، وانتزع منه غزة، وبعض المدن العشر، وألحق هذه بحكم والي سوريا. وجعل انتيبيا مي تتراخا (حاكماً) على الجليل وبيريا، فيليب (حاكماً). على ما أوصى به أبوه له. ظل انتيباس في الحكم على تتراخية من 4 ق. م. إلى 39 م. وكان في تصرفه الشخصي يقتفي آثار أبيه، لذلك كثرت مشكلاته الشخصية والسياسية. ولما طلب من الامبراطور كاليغلا (37 - 41 م) أن يجعله ملكاً، خلعه عن العرش، ونفاه إلى بلاد الغال (فرنسا). واحتفظ فيليب بالحكم في تتراخية، حتى وفاته، سنة ٣٤ م. أما الذي أقصى عن الحكم قبل غيره، وبعد عشر سنوات، فقط، من توليته حكم تترارخية، فقد كان

ارخلاوص، الذي نفى إلى بلاد الغال، وذلك سنة 6 م. وكان لهيرودوس حفيد هو أغريبا الذي نشر في رومة، وكان قريباً من أهل الحكم وحاشيتهم. فلما جلس كاليغلا على عرش الإمبراطورية (سنة 37 م)، جعل أغريبا والياً على ما كان في يد فيليب، وسماه ملكاً، ثم لما خلع كاليغلا انتيباس ضم ما كان تحت سلطته إلى أغريبا، ثم جاء كلود يوس إلى العرش (41 م) وكان يحب أغريبا أيضاً فجعل ما كان بيد أرخلاوس الذي كان قد جعل ولاية رومانية تابعة كذلك لأغريبا. لكن أغريبا لم يعمر طويلاً، فمات سنة 44 م، وبعد ذلك (أصبحت فلسطين بكاملها ولاية رومانية)^(٥٩).

فلسطين ولاية رومانية :

لما عزل ارخلاوس من منصبه، سنة ٦ م، لم يجد أغسطس من يملأ الفراغ من بيت هيرودس، لذلك ضمت المنطقة التي بأمره ارخلاوس إلى الإدارة الرومانية المباشرة. وكانت هذه المساحة تشمل الجزء الأكبر من فلسطين، فأصبحت البلاد جمعاء ولاية رومانية، وهو الوضع الذي استمر، حتى سنة ٦٦ م. (تستثنى من ذلك فترة قصيرة كان فيها اغرابيا، حفيد هيرودس وصديق الإمبراطور كاليغلا، ملكاً على البلاد ٣٧ - ٤٤ م). وقد أطلقت الحكومة الرومانية ألقاباً مختلفة على أولئك الذين أرسلتهم لإدارة الولاية الجديدة (وكيل، حاكم، ووال) ومع انه كان لكل من هذه الألقاب معناه القانوني، ودلالاته على طبقة الموظفين التي يختار منها، فان ذلك لم يكن له أية أهمية بالنسبة لفلسطين، في ذلك العهد. إذ أن المهم، برأي شورر، هو السلطات التي كان هذا الحاكم يتمتع بها. فقد كان

يشرف على شؤون الولاية العسكرية، ويتولى السلطة القضائية العليا، ويدير الشؤون المالية^(٦٠).

كانت فلسطين، مثل أي أرض خاضعة لمغتصب، تقوم بثورات، أو بمقاومة ذلك المغتصب. وفي الجز، التالي، سنحاول رصد أهم الثورات التي قامت في فلسطين، في العهد الروماني، وأسبابها، وما نتج عنها. ظل اليهود يكافحون، ولما مات ميرودس الأعظم، نبذ الوطنيون نصائح هزل السلمية، وأعلنوا الثورة على خليفة أرخلوس، وعسكروا في خيام حول المعبد. فقتل جنود أرخلوس ثلاثة آلاف، كان كثيرون منهم قد جاءوا إلى اورشليم، ليحتفلوا بعيد الفصح (4 ق. م) لكن الثوار عادوا إلى التجمع، في عيد العنصرة، وتعرضوا للقتل، وحرقت أروقة الدير، ونهب الجنود ما فيه من الكنوز، ثم تألفت عصابات من الوطنيين في الريف، وهددوا حياة كل من يؤيد روما، ومن هذه العصابات واحدة تحت قيادة بوداس الحولوني استولت على صفورة، عاصمة الجليل. وزحف قادم، حاكم سوريا، على فلسطين، بعشرين ألفاً من رجاله، وهدم مئات من بلدانها، وصلب ألفين من الثوار، وباع ثلاثين ألفاً من اليهود في أسواق الرقيق. وذهب وفد من زعماء اليهود إلى روما، وطلب إلى أغسطس أن يلغي الملكية في بلاد اليهود. فاستجاب أغسطس لطلبه، وعزل أرخلوس، وجعل البلاد ولاية رومانية من الدرجة الثانية، وعين عليها حاكماً مسؤولاً أمام والي سوريا^(٦١).

في سنة 66 م اندلعت في فلسطين حركة عصيان عنيفة ضد الحكم الروماني. على أن بذور هذه الحركات كانت تنمو، منذ مدة. وكان للحكام

الرومان، على ييدوه في إثارة هذه الحركة، بسبب جهلهم، أو تجاهلهم. كما كانت هناك الضرائب المرتفعة. على أن العنصر الفعال في هذه الحركة جماعة، صغيرة نسبياً، لكنها نشيطة على غير استعداد للقبول بأي شيء، فيه

” الحضارة الجديدة ”، أي الحضارة الهلنستية، التي استمرت تعمل في الاطار الروماني. فكان الصدام، الذي استمر من سنة 66 م إلى سنة 74 م (٦٢).

بدأت الثورة في عهد نيرون (54 - 68 م)، وكان فسبسيان أول قائد روماني عهد إليه بالقضاء علي العصيان. لكن هذا كان آخر إمبراطور (69 - 79 م) فانندب ابنه تيطس قائدا مكانه، وقد أنهى تيطس الأمر، وهدم الهيكل، (سنة 70 م)، الذي كان هيرودس قد بناه مكان المعبد الأقدم، أو في مكان قريب منه وتولى تيطس العرش الروماني (79 - 81 م) بعد أبيه. وبعد القضاء، على الثورة، ظلت الفرقة العاشرة (من الجيش الرومان) في بيت المقدس، وكانت أرسلت، أصلاً، للقيام بمهات عسكرية، أثناء العصيان (٦٣).

كان أحد الضباط اليهود، الذين عهد اليهم بقيادة حركة العصيان في الجليل، فلافيوس يوسيفوس، قد نجح، في بادئ الأمر، لكنه رأى، فيما بعد، أن يستسلم، ويوفر إزهاق الأرواح، وقد تم له أن سلم نفسه إلى فسبسيان، لما كان هذا قائداً للجيش في فلسطين. ولا يهمننا الدور العسكري أو السياسي الذي قام به يوسيفوس، لكن المهم هو أن هذا الرجل، انصرف إلى وضع كتب (باللغة اليونانية)، عرض فيها لتاريخ

الحرب هذه، ولتاريخ اليهود، مع ترجمة ذاتية له. وهذه المؤلفات ذات قيمة خاصة، في التاريخ لهذه الفترة، التي عاصر يوسيفوس أحداثها، وأسهم فيها عملياً^(٦٤).

في سنة 73 م كانت كل أنواع المقاومة قد انتهت، وأطلق الرومان

اسم

” يهودية ” على كل فلسطين، أي إطلاق الجزء، على الكل، وأصبح يديرها قائداً الفيلق الروماني السادس. ”.. وعقب تدمير أورشليم ” لم يتخذ الرومان الغزاة وسائل قمعية خاصة، بل على العكس من ذلك، حاولوا أن يكسبوا اليهودي، كرعايا، وذلك باستخدام الرفق الذي كان قد أثبت نجاحه في قضية الشعوب الأخرى، التي تم إدخالها إلى الإمبراطورية. ولكنهم (الرومان) حاولوا ذلك دون اللجوء إلى النفوذ العازل للحاخامية. وقامت انتفاضات صغيرة، هنا وهناك، ورغم أنها أخمدت، بسهولة، كانت إحداها تلك التي أخذها تراجان، إلا أنها أظهرت للرومان أنه وجب عليهم أن يعاملوا شعباً مشاغباً ومتضايقاً. وفي النهاية قرر هادريان محق هذه (القومية اليهودية) العنيدة. وأصدر مرسوماً يمنع بمقتضاة قراءة القانون (التوراة) واحترام السبت، وسنة الختان، وعقد العزم على تحويل أورشليم، المدمر نصفها، إلى مستعمرة رومانية^(٦٥).

ثمّة ثورة حدثت حوالي (132 - 135 م) وأسُميت (ثروة

باركوخبا)، نسبة إلى اسم قائد الحركة، ولا يعرف أصل هذا الرجل،

اسمه الحقيقي هو

” سيمون ”، إلا أنه حصل على اعتراف بأنه ” المسيح ”، من جانب أقوى

حاخام، من ذلك العصر " اليبان يوسف"، واجتمع تحت لوائه مائتا ألف يهودي، هجموا على القدس واحتلوه، ثم احتلوا - حاميات ومراكز رومانية أخرى " في مختلف أنحاء البلاد (٦٦).

لقد جذب جيش باركوكبا متطوعين من يهود كل البلاد. والذين لم يتمكنوا من الخدمة، شخصياً، أرسلوا بكنوزهم. وحتى غير اليهود انضموا إلى القوات المتمردة، وإن أحجم مسيحيو فلسطين عن الاشتراك في تلك الثورة. وأرسل هادريان جيشاً كبيراً - استدعاه من بريطانيا - لمواجهة الطغيان اليهودي. وهزمهم الرومان، واعملوا فيهم سيف القتل. وبعد اخماد الثورة، أقام هادريان مدينة وثنية على أورشليم، وأقام بها هيكلًا وثنيًا للجوبيتز، على نفس مكان " المعبد القديم"، ومنع هادريان اليهود من دخول المدينة. وكان الامبراطور أوريليوس قد سمح لليهود بدخول القدس لأداء الصلاة. أما اليهود الذين، بقوا عقب الغزو الروماني، فكان مركزهم أكبر إلى حد ما من أولئك الخارجين على القانون (٦٧).

معروف بأن فلسطين عادت إلى الحكم العربي، لمدة ثلاث سنوات، وذلك حين غزت الملكة العربية، زنوبيا، سنة 270 م، سائر فلسطين، وسوريا، ومصر. وكانت قد بدأت الغزو، بحجة إعادة مصر إلى روما، ووصلت الحاميات التدمرية، حتى شالسيدون المواجهة لبيزنطية، وحين ارتقى " أورليان " العرش الروماني، تنبه إلى خطر التدمريين وإلى أخطار سياسة زنوبيا، فنزع منها مصر، ثم سار إلى قتالها، وبعد معارك طويلة، استسلم التدمريون، وحين ثاروا، ثانية، بعد عدة أشهر من عودة أورليان، رجع هذا الأخير، ودمر " تدمر " نهائياً. وهكذا انتهت سيطرة

العرب، ثانية، على بلادهم، سنة 273 ، بعد أن أثبتوا بذلك حقهم عليها^(٦٨).

النشأة الأولى للمسيحية:

ظهر للمسيحية اتجاهان، بعد انشارها الأول المحدود، فقد كان المسيحيون، خاصة في بيت المقدس، ونجد أن اليهود لم يقبلوا السيد المسيح على أنه " المسيا " المنتظر، فقد كانوا يعتبرون هؤلاء المسيحيين " خوارج " على الدين اليهودي، لذلك اعتدوا عليهم، واضطهدوهم، لكن ذلك لم يفت في عضدهم. وهذه الجماعة المسيحية (المسيحية اليهودية)، التي نظمت نفسها، نسبياً، في بيت المقدس، هي التي خرج منها الكثيرون من الرسل والمبشرين الأوائل. أما المسيحية الهلينية فقد بدأت في القدس، أيضاً، لكن سرعان ما ظهرت خصائصها في انطاكية (وفي هذه المدينة سمي المسيحيون بهذا الاسم، لأول مرة). وأبرز ما في هذه الخصائص أن هؤلاء المسيحيين لم يروا أنفسهم " طائفة يهودية " أو " فئة يهودية " هذه المسيحية هي التي اعتبرت نفسها ديانة جامعة عامة. وقد تخلت عن الطقوس اليهودية. ويعتبر بولس أكبر المفسرين لها. لكن يجب أن يذكر هنا أن النوعين - المقدسي والأنطاكي - كانا متفقين حول الأصول^(٦٩).

يمكن تقسيم الفترة الأولى لانتشار المسيحية إلى ثلاثة أدوار: أولاً تلا أيام المسيح، مباشرة، وسمى " عصر الرسل " (30 - 95 م). وكانت بيت المقدس المركز الأول للجماعة المسيحية، هذا مع العلم بأن الأماكن التي بشر فيها المسيح أكثر أيامه، وعمل فيها تلاميذه، كانت في الجليل.

وامتد الدور الثاني نحو قرن، من نهاية القرن الأول إلى أواخر القرن الثاني الميلاديين، وقد كان انتشار المسيحية فيه خارج فلسطين أسرع. أما فلسطين فقد كانت أبطأ في قبول المسيحية، ولعل السبب يعود إلى مقاومة اليهود لها. وينتهي الدور الثالث باعتراف قسطنطين المسيحية، سنة 312 م (٧٠).

قاد اليهود الاضطهاد الذي تعرض له المسيحيون، وخاصة في بيت المقدس، وبضع نواح في فلسطين، وليس لدينا أي وثيقة تدلنا على موقف الدولة الرومانية من هذه الجماعة، وتعاليمها، في أول الأمر. ولعل القائمين بالأمر في فلسطين من حكام وإداريين، ظلوا يعتبرون هؤلاء المسيحيين فريقاً يهودياً، حتى هدم تيطس الهيكل، في بيت المقدس. عندها اتضح بأن هناك فرقاً بين المسيحيين واليهود، لأن الأولين لم يتأذوا من الذي حدث. وهؤلاء، كانوا يعقدون اجتماعاتهم في أماكن نائية عن المجتمع، ما أثار حولهم بعض الشبهات، وأهمها التآمر على سلامة الدولة. فطالب البعض بمحاكمتهم. ومما كان يثير بعض الفئات ضد المسيحيين أنهم كانوا ينظرون إلى الألهة الأخرى نظرة صغار، وإلى عبادها نظرة احتقار. فكانت الجماعات الأخرى تهاجمهم، وتوقع الأذى بهم. وقد تمثل موقف الخصومة ضد المسيحية في أمور ثلاثة: أولها قيام بعض السكان ضد المسيحيين، غيرة منهم على أفتهم، ولطالما كبدوا المسيحيين خسائر فادحة. وثانيها دحض دعاوى المسيحيين في كتب، ألقت خصيصاً لذلك، والثالث هو الاضطهاد الرسمي، الذي كان يتم بأمر الامبراطور. وفي الدور الثاني من انتشار المسيحية (95 - 180 م)

عرف ستة من الأباطرة باضطهاد المسيحيين. ولن ندخل في تفاصيل هذه الاضطهادات ” ولكن يبدو أن عمل ديسيومي (249 - 51)، مع أنه لم يدم سوى سنة واحدة، كان من أشدها بالنسبة للمشرق، فاستشهد في أيامه أساقفة القدس، وأنطاكية، ومصر، وشمال أفريقيا، وأسيا الصغرى أجمعين. والاضطهاد المعروف بالكبير، هو الذي جاء في أيام ديو قلتيان، وكان ذلك في أواخر حكمه (303 م). وقد ورد في الأمر الذي أصدره أن تهدم بيعة المسيحيين، وتمزق كتبهم المقدسة، ويخرج الموظفين منهم من خدمة الدولة، ويُسترقوا^(٧١).

جدير بالذكر أن الخصومة التي نشأت بين أهل الفكر والفلسفة، الوثنيين والمسيحيين، جعلت الوثنيين يوجهون انتقادات وحملات ضد المسيحية، ودارت الانتقادات حول أن المسيحيين خصوم للمدنية، واعتناق المسيحية يضعف الأخلاق الغافلة، وأنها خالية من الفكر الفلسفي، ولعل من أطرف ما اتهمت به المسيحية، هو أنها حديثة العهد، ومن ثم فلا مكانة لها بين الأديان والمعتقدات العريقة^(٧٢).

نظم الحكم والإدارة:

لعل من الخصائص الأساسية للإمبراطورية الرومانية بأنها تتألف من مجموعة من دول - المدن، تحكم نفسها بنفسها، إلى حد ما، فضمت كل منها لحدودها أراضي واسعة، تمتلكها، وتسيطر عليها، مع أن الإمبراطورية كلها كانت مقسمة إلى ولايات. وراذفت الوطنية في هذه الإمبراطورية حب الشخص لمدينته، أكثر مما عنت حبه للإمبراطورية، وكان الأحرار في كل مدينة يقنعون، في الأحوال العادية، بممارسة

حقوقهم السياسية المحلية البحتة، وقلما كان الذين نالوا حقوق المواطنة الرومانية، من غير أهل رومة، يذهبون إلى تلك العاصمة، ليعطوا أصواتهم في الانتخابات، ولم يكن اضمحلال الجمعيات العامة في العاصمة، مصحوباً باضمحلال مماثل له في مدن الإمبراطورية، كما تدل على هذا بمبى نفسها. وامتلكت معظم البلديات الإيطالية مجالس شيوخ، حظيت بعض المدن الشرقية بمجالس تشريعية، تسن قوانينها وجمعيات تختار حكامها، و كان ينتظر من حاكم المدينة أن يهب مدينته مبلغاً كبيراً من المال، نظير تفضلها عليه أن يكون حاكماً لها. وقد جرت العادة، أيضاً، أن يتبرع، من حين إلى حين، ببعض المال، للأغراض أو الألعاب العامة. وإذا كان المنصب لا ينال عليه صاحبه أجراً، فإن ديمقراطية الأحرار - أو أرسقراطية الأحرار - قد استحالَت، في كل مكان تقريباً، فالمناصب يتولاها ذوو المال والجاه^(٧٣).

كان الأباطرة، من أغسطس (27 ق. م - 14 م) إلى فيليب العربي (244 - 249)، يعملون باستمرار على بناء المدن الجديدة من جهة، ومنع الرعوية لمدن قديمة من جهة أخرى. وجدير بالذكر أن الأباطرة قاموا برعاية المدن الجديدة التي بنوها. وقد وضع كركلا حدًا للفروق بين الأحرار، المقيمين في الإمبراطورية، بأن منح هؤلاء جيعاً الرعوية الرومانية، وصدر الأمر بذلك، سنة 212. وثمة أمران يجب أن ينكرا عن حاكم فلسطين، قبل البحث في التفاصيل المتعلقة بإدارته. أولهما أنه لم يكن تابعاً لوالي سوريا، الذي كان أرفع مكانة في سلم الحكم. إلا أن الوالي كان يستطيع أن يتدخل، عند الحاجة، وخاصة إذا كانت الحاجة

العسكرية، دون استئذان رومة، أما الأمر الثاني، فهو أن عاصمة هذه الولاية كانت قيصرية. هناك كان الحاكم يقيم، ومن هناك كان يدير الولاية، أما بيت المقدس فكان يتفقد أمورها، بين الفينة والفينة، إلا أنه كان عليه أن يقضى أيام الأعياد والمواسم الدينية هناك، للحفاظ على النظام^(٧٤).

لقد امتلك الحاكم السلطة العليا في الشؤون القضائية. وتجلت هذه السلطة في براءة التعيين التي يصدرها الامبراطور عند انتدابه وكيلاً عنه لهذا المنصب. ومع أن الحاكم كان القاضي الوحيد، فإنه غالباً ما لجأ إلى أصحاب الخبرة من أبناء البلد. وغدا من المؤلف أن يشرك الحاكم الموظفين من الرومان، الذين جاؤوا معه، خصوصاً أن كثيرين من هؤلاء كانوا يرسلون مع الحاكم، كي يدرّبوا، إدارياً، تهيئة لانتدابهم لوظائف أكبر في المستقبل. وللحاكم أن يصدر، وينفذ جميع أنواع الأحكام، ومن ذلك الحكم بالإعدام. إلى جانب الإشراف على السلطتين، العسكرية والقضائية، كان الحاكم يشرف على الشؤون المالية: جمعاً للضرائب الباهظة، واتفاقاً على المشاريع العامة، ودفع الرواتب لكل من يستحقها. وقد كانت الضرائب، والمكوس متنوعة، وبحففة بالناس. أما المكوس فجمعت عن طريق التلزيم، كما تم اللجوء إلى هذا الأسلوب في جمع الضرائب، أيضاً^(٧٥).

تميزت الإدارة الإمبراطورية بأن الموظفين الذين تولوا شؤون الدولة، من كبار الوزراء إلى صغار الموظفين الماليين أثبتوا أنهم كانوا أهل اقتدار وكفاية. ومن ثم فقد غلب على العمل الإداري السير المنتظم.

وبالنسبة لفلسطين فإن أهم ما تم، في تلك الفترة، هو العناية بتطوير الإدارة. ويبدو لنا أن الرومان كانوا، من نظرتهن إلى التطوير الإداري، محافظين، أكثر مما يبدو للوهلة الأولى. فنحن نقرأ عن تبديل، وتغيير، وتطوير في الإدارة، ولكن الهيكل الأصلي العام ظل ثابتاً، وقوامه أمور ثلاثة: إن الوالي، في العصر الروماني، كان يمثل السلطة المركزية العليا، أي الملك؟ وهو في الدرجة الأولى، صاحب الكلمة الأخيرة، وخاصة فيما يتعلق بالشؤون القضائية، والمالية. والأمر الثاني، أنه داخل حدود الولاية، بالذات، كانت ثمة من لها إدارتها المدنية الخاصة. ومن هذا النوع مدن مثل بيسان، وقيصرية (الساحل)، ونابلس، وسبسطية، وصفورية، وعكا، وغزة، وبيت جبرين. وهذه المدن كانت لها إدارة ذاتية حرة، وأهم امتيازاتها سك النقود. كما كان لهذه المدن أرض، اقتطعت داخل الولاية، بل دخلت الأفضية، بالذات، وكانت في واقع الأمر، قرية، أو دسكرة تابعة للمدينة، لا اقتصادياً فحسب، ولكن إدارياً، أيضاً. والأمر الثالث هو أن السلطان، ملكاً كان أو شبه ملك، يعين أو يختار محلياً، مثل هيرودس، وله ضياع ملكية (أو أميرية)، يديرها ويستغلها إدارة الملك الخاص. وجدير بالذكر أن فلسطين حوالي سنة 400 م، أو بعد ذلك بقليل، أصبحت مقسمة، إدارته إلى أقسام ثلاثة: فلسطين الأولى، وفلسطين الثانية، وفلسطين الثالثة (أو الصحراوية، أو الداخلية، أو الأمانة). وظل سهل عكا، بأكمله، ومنطقة حيفا جزء من ولاية فينيقيا^(٧٦).

سبقت الإشارة إلى إصلاح المدن القديمة، وإنشاء المدن الجديدة في

فلسطين، ولذلك نُجمل فيما يلي ذكر تلك المدن^(٧٧):

١ - المدن، التي يعود الاهتمام بها إلى بومبي، وغابينوس (أواسط القرن الأول قبل الميلاد)، عكا (بطوليمائيس) ودورا (الطنطورة)، وعسقلان، وغزة البحرية (ميوماس) ورفح (رفيا)، وبيسان (سكيتو بوليس)، وأرسوف (أبو لونيا)، ويافا (يوبه).

٢ - المدن التي يعود بناؤها إلى هيرودس (37 - 4 ق. م)، وهي: قيصرية فلسطين (أو الساحلية)، وذلك تمييزاً لها عن قيصرية كثيرة في الإمبراطورية الرومانية، وسبسطية (السامرة)، واللجون في فلسطين (اليغنيومكسيما نوبوليس)، ورأس العين (أنتياتريس)، وجبع، قرب جبل الكرمل (وهذه هي المدينة، وهي غير جبع القرية، التي كانت تابعة لسبسطية).

٣ - طبرية، من أيام طيباريوس (١٤ - ٣٧م).

٤ - منشآت، من أيام فيسيان، إلى أيام ترا جان (69 - 7١ م)، وهي نابلس (شكيم القديمة)، وصفورية، (التي سميت دبوسيزارية).

٥ - أيام هديان (١١٧ - ١٣٨م)، وتمثلت إنجازاته في بناء، إيليا كابيتولينا (بيت المقدس).

٦ - أيام سبتيموس سيفيروس (١٩٣ - ٢١١م)، الذي ينسب إليه بناء اللد (ديوسبوليس)، وبيت جبرين (اليوتوروبوليس).

٧ - وبعد ذلك، بنيت عمواس (نيكوبوليس)، إكراماً لرجاء يوليوس الإفريقي، الذي رئس وفداً إلى الامبراطور الكسندر سيفيروس (٢٢٢ - ٢٣٥م).

الحياة الاقتصادية :

عندما نتحدث عن الحياة الاقتصادية في فلسطين في العهد الروماني، يجدر بنا أن نناقش الحياة الاقتصادية في فلسطين قبل احتلال روما لها. والطبيعي عند التحدث عن الحياة الاقتصادية، أن نتعرض لأهم عنصر من عناصر الاقتصاد، ألا وهو الزراعة، فهي في أغلب الأزمنة التاريخية، المورد الرئيس لحاجات السكان.

قدرت مساحة فلسطين مع (بيريا من شرقي الأردن) بنحو مليون هكتار (أي نحو ١٠٠.٠٠٠ كم مربع). وقد قدر ريفنبرج الأجزاء، التي كانت تُستغل، في العصور القديمة، بما يعادل 65 - 70% من المساحة. وبسبب ارتباط كثير من المنتجات الزراعية بالقرابين، التي كانت تقدم في المواسم والأعياد، فإننا نجد معلومات لا بأس بها تتعلق بالنتاج الزراعي. فخير اصناف الطحين (للطير)، والشعير المستخدم في صناعة الخمر (٧٨)، كانت هناك. ومن ناحية أخرى، نجد أن الزراعة كانت أساس حياة الروماني، فقد كان يقيم المدن، لتكون مجتمعاً للزراع، يتبادلون فيها محصولات أرضهم، وينظم جيوشه، ودولته، على أساس استعداد الروماني للدفاع عن أملاكه، وتوسيع رقعتها، ويفكر في آلهته على أنها أرواح الأرض الحية، والسماء المغذية. وقد اهتم الرومان بالزراعة، إلى حد كبير، مما جعلهم يستوردون كتباً في الزراعة العلمية، من بلاد اليونان، ومن قرطاجنة. وبحانت الأرض تزرع حباً فخضاراً، ثم تترك، من حين إلى حين، مراعي، حتى لا يستنفد خصبها.

وقد تميز الرومان بجودة محاصيل معينة، مثل العدس، والفول،

والحمص، والثوم، والخضر، والكروم، والتين، والزيتون، الذي استبدل بزيتة الزبد في الطعام، وبالصابون في الاستحمام، واستخدم في الإضاءة، ودهان الشعر، والجلد، لحمايته^(٧٩). وعندما أتى الرومان إلى أرض فلسطين، أدخلوا محاصيلهم إليها، وكذلك اهتموا بجلب محاصيل من بلدان أخرى إلى أرض فلسطين. واهتموا كذلك بتربية الحيوان، مثل الأبقار، والخراف، والماعز، وذلك لارتباطها بالتقدمات والقرابين، وكان الحليب يستعمل في صناعة الجبن^(٨٠).

أما ما كانت البلاد تستورده من المواد الغذائية، بانتظام، فشمّل السمك المملح، والمجفّف، من مصر، وأسبانيا، والخراف من الأردن، خاصة في المواسم الدينية. فقد نقل أبلباوم عن تاجر أدومي، اسمه بابا بن بوتّي، أنه جاء بثلاثة آلاف خروف، في أحد المواسم. وكان الملح يُحمل من مصر، ومن سوريا، ومن سدون (زغر)، جنوبي البحر الميت. وفضلاً عن المواد الغذائية، كانت فلسطين تستورد الفخار الإيطالي، والسلال، والحبال، والبردى من مصر، والزجاج، والقنّب، والأقمشة الخشنة من المناطق السورية^(٨١).

على أن ما كانت تصنعه فلسطين لم يكن يكفي للتصدير فالأقمشة الكتانية، التي كانت تصنع في قيصرية وبيسان، لم تكف لتكفي للاستهلاك المحلي. لكن الإنتاج الزراعي كان يعرض في الميزان التجاري. فزيت الزيتون، والخمور، والتّمور، وزيت الورد، والبصل (العسقلاني)، والحنّاء، والبلسم، كانت أشياء مرغوبة في الجوار، وحتى في الأماكن البعيدة، ولطالما أرسلت بعض المواد الخام من فلسطين إلى الخارج،

وأهمها القار من البحر الميت، والرمل الناعم من منطقة عكا، الذي كان يُستعمل في صنع الزجاج. إلى ذلك تم تصدير كميات صغيرة من الأقمشة، الخشنة والرقيقة. وكان هناك رابطات على مدن القوافل، بل كانت توجد في الموانئ، أيضاً. وقد كان لرابطات صوره وبيروت فروع في إيطاليا. وكان لغزة مثل هذا التنظيم البحري^(٨٢).

أما موارد الخزينة في الولاية، فكانت تعتمد على عدد من الاحتكارات الرسمية، شأنها في ذلك شأن غيرها من الولايات الرومانية، وهذه السياسة هي، في واقع الأمر، استمرار للسياسة، التي أدخلها اليونان إلى المنطقة في العصر الهلنستي، وقد أدخلت عليها تعديلات كانت، على الأرجح، في مصلحة الحكومة. ومن الأشياء التي كانت تخضع للاحتكار أصلاً، البلسم، إنتاجاً وتصديراً. فقد أصبحت مزارعه ملكاً للدولة. وكان صيد السمك من الاحتكارات المهمة. وساعدت أنواع مختلفة من الضرائب، والرسوم الجمركية، خزينة الدولة، بطبيعة الحال. فمن الضرائب المباشرة، التي تجمع عن طريق موظفي الحكومة، الجزية، وضريبة الأرض. أما بالنسبة لشؤون النقد، في هذه الفترة، ففي القرن الرابع كان في الإمبراطورية خمس عشرة دار لضرب العملة، أما في القرن الخامس، فقد انخفض العدد إلى ست، منها أربع دور لسك النقود الفضية، وداران لسك النقود الذهبية. وعاد فارتفع إلى اثنتي عشرة داراً، في القرن السادس. أما في أيام هرقل، فقد أُفقلت أكثر دور الضرب. واقتصر سك النقود على القسطنطينية. ولعل أهم ما طرأ على النقود المسكوكة ما يتعلق فيها بالنقد الذهبي. وإذا سكت قطعة نقد ذهبيه سميت

سوليدوس، وكانت قيمتها 25 ديناراً. وسكت قطعتان من النقد الذهبي أيضاً، الواحدة تريميسيس، وتساوي ثلث سوليدوس، والثانية سيمييسيس، وتساوي نصف سوليدوس. وقد شاعت القطعة النقدية الأولى، أما الثانية والثالثة، فلم تلق في السوق الإقبال ذاته^(٨٣).

ثمة سؤال يطرح نفسه، وهو: ترى إلى أي حد حاولت الحكومة، في عهد الإمبراطورية، أن تسيطر على الحياة الاقتصادية؟

لقد حاولت أن تعيد ملكية الأرض إلى الفلاحين، ولكنها عجزت عن ذلك، إلى حد كبير. ولقد كان الأباطرة في هذه الناحية أكثر استنارة من مجلس الشيوخ، لأن هذا المجلس كان خاضعاً لسيطرة اصحاب الضياع الكبيرة. وأراد دوميان أن يشجع زراعة الحبوب في إيطاليا، ولكنه لم يفلح فيما كان يرمى إليه. وكانت السياسة الاقتصادية الرومانية تسير على مبدأ التخلي مع استثناء امتلاك الدولة للمناجم، ومقالع الأحجار، ومصايد السمك، ورواسب الملح، ومساحات واسعة من الأراضي المنزرعة^(٨٤).

الحياة الاجتماعية:

وصل تقدير الإنسان للمال في رومة، إلا أقلية، لا يعتد بها، المال، حد العبادة، وخاصة أصحاب المصارف. وبالنسبة للطبقات، في ذلك الوقت، فقد انحصرت في طبقتين أساسيتين، الأولى: طبقة "رجال الشرف"، أو رجال المناصب، وهذه الطبقة كانت تضم الشيوخ، والفرسان، والحكام، والموظفين، ولقب كل ما عداهم "الأدنياء" أو "الضعفاء". وتألقت هذه الطبقة، وقتئذ من رجال الأعمال، الذين لم يرشحوا للعضوية في طبقة أخرى، ومن العمال الأحرار المولد،

والفلاحين الملاك، والمدرسين، والأطباء، والفنانين، والعبيد المحررين. ولم يحدد الإحصاء، طبقة الصعاليك، حسب أعمال أفرادها، بل كان يحددها حسب مولدهم. وقد وصفتهم إحدى الرسائل القديمة بأنهم " السوقة"، الذين لا يقدمون للدولة إلا الأطفال، كان الكثيرون منهم يعملون في الحوانيت، وفي المصانع، وفي تجارة المدن^(٨٥).

عند دخول الرومان إلى البلاد، موظفين، وجنودًا، وتجارًا، وهؤلاء كانوا يأتون للعمل، لكنهم لا يلبثون حتى يستقروا، ويصبحوا جزءًا من سكان فلسطين. وكلمة " الرومان"، عندما نستعملها، لا تعني، بالضرورة، أفراداً رومانيين الأصل. فنحن عندما ندرس تكوين الفرق الرومانية التي عهد إليها بحراسة ثغور البلاد، وحمايتها، والمحافظة على الأمن في البلاد نفسها، نجد أنها مكونة من جميع أصناف السكان في الإمبراطورية الرومانية - من المغرب إلى حوض الدانوب، إلى القبائل الجرمانية التي استقرت هناك مثل القوط إلى المشرق^(٨٦). وقد أترت الحضارة اليونانية في مدن، مثل رفح (رافيا)، وغزة، وعسقلان، ويافا (جبا)، وأبلونيا والسامرة، وقيصرية. وكانت هذه المدن، رغم وجودها في فلسطين، نصف يونانية في مكانها، تسودها لغة اليونان، وثقافتهم، وأنظمتهم، والصورة التي تطالعنا لسوريا، تحت الحكم الرومان، بما فيها فلسطين هي صورة البلد الرخي، رخاء أدوم من رخاء ولاية أخرى من ولايات الدولة الرومانية. وكان معظم أهلها من الأحرار، لا من كان يقوم منهم بالخدمة في البيوت. وكانت الطبقات العليا مصطبغة بالصبغة اليونانية (كما أشرنا سابقاً)، أما الطبقات الدنيا، فقد احتفظت بطابعها

الشرقي، وقد اختلط الفلاسفة اليونان في المدينة الواحدة بعاهرات الهياكل، والكهنة، وقد ظل الأطفال، حتى أيام هديران، يُضحى بهم قرباناً للآلهة. وكانت التماثيل المنحوتة، والصور الملونة نوات وجوه وأشكال نصف شرقية، وعليها طابع العصور الوسطى^(٨٧).

الحياة الفكرية والتعليم:

لم تكن المدينة اليونانية بالتعليم. وقد اهتمت الدولة الرومانية بالمدرسة كمؤسسة تفتح أبوابها لقبول صغار التلاميذ. لذلك كان التعليم، في تلك المرحلة، في العالم اليوناني - الروماني، مسؤولية الآباء الشخصية، فكانوا يقومون بتعليم أبنائهم، إذا كان هذا في مقدورهم، أو أنهم كانوا يبحثون عن المعلم، ويدفعون له مكافأة لقاء تعليم هؤلاء الصغار. إلا أن التعليم العالي، كان أمره يختلف. فقد عفت سلطات المدينة بمؤسسات التعليم العالي، كما اهتم ملوك العمر الهلينستي بذلك. فأنشأت في المدن - العواصم في أثينا، ورومه، والاسكندرية، وغزة مثلاً مؤسسات للبحث العلمي، ومكتبات غنية. ثم انتشرت المؤسسات التعليمية، وازداد عددها، فتعدتها المدن الكبرى. ولما اتخذت القسطنطينية عاصمة، صارت لها جامعة، عين فيها ثلاثة عشر أستاذاً للدراسات اللاتينية، وخمسة عشر أستاذاً للدراسات اليونانية. واشتملت المناهج علم الغراماطيق، أي علم النحو، والبلاغة، والفلسفة، وقد تدخل فيه العلوم الطبيعية، أيضاً^(٨٨).

في زمن الإمبراطورية الرومانية كان التعليم والبحث العلمي على اختلاف موضوعات الدراسة، يدوران في إطارين لغويين: واحد يوناني، في الشرق، والآخر لاتيني في الغرب، مع تشابك في الحدود اللغوية، بالنسبة للحدود السياسية. كان هناك، في الأطراف الشرقية للإمبراطورية، والبلاد المتاحة لها، فئة ثالثة كانت تستعمل اللغة السريانية في تعليمها الديني المسيحي، والبحث العلمي، والتأمل الفلسفي،

والجدل المسيحي. واستحدث انتشار المسيحية، في القرون الأولى من عصر الإمبراطورية، جواً من الخلاف بين المسيحية وما ألفه الناس، فلا الدولة قبلت بهؤلاء الذين لم يعترفوا بنظراتها الدينية، ولا الوثنيون أدركوا المبادئ الجديدة، التي حلتها المسيحية إلى العالم، ولا اليهود رأوا شيئاً يتفق مع نظراتهم^(٨٩).

يسرت الإمبراطورية الرومانية للسكان فيها حرية التنقل، في مجال واسع. فكان مجتمعها مجتمعاً مفتوحاً، وتنقل الناس من مكان إلى آخر، سعياً وراء الرزق، أو للمتعة، أو للتعلم. ومنذ القرن الرابع، خصصت رحلة لزيارة الأرض المقدسة. هذا التنقل شمل جميع أنواع السكان، ولعل المشتغلين بالعلم والتعليم، وكبارهم خاصة، كانوا من أكثر الأفراد تنقلاً. ذلك أنهم كانوا يتخبرون المدارس التي يعملون فيها، من بين المدارس المتنوعة، فينتقلون من مدرسة إلى أخرى، أكبر، أو أشهر، وأغنى. فالفلسطيني المدرب في غزة، أو قيصرية، مثلاً، يتجه، إذا رغب، إلى قسطنطينية، أو بيروت، أو حتى أثينا، ليعلم هناك. ومثل لذلك يقال في مدارس فلسطين، بالذات، التي كان يطمح الكثيرون في مناصب التعليم فيها بسبب ما كانت توفره من مرتب، ومقام، وهدوء نسبي. ويرى الباحثون أن فلسطين أتيحت لها الفرصة لأن تكون مدارسها في مقدمة مدارس الإمبراطورية. فقد اجتمع لهذا القطر الصغير عدد من المكتبات الكبيرة، في بيت المقدس، وقيصرية، وغزة. وكان في قيصرية مدرسة تعد الطلاب في شؤون البلاغة، والآداب القديمة، ومعهد تعلم فيه الموضوعات المسيحية^(٩٠).

مما سبق يظهر لنا الدور الذي لعبته فلسطين، في تلك الفترة، والتي كانت بمثابة الكعبة التي يحج إليها الطامحون في المجال العلمي لما تملكه من جامعة، ومكتبة، زاخرة بنفائس الكتب، وبما أنها قبلة طالب العلم في العهد الروماني.

ثمة نقطة جديرة بالإشارة، وهي أن التعليم، في المرحلة العالية من التعليم الروماني، كانت تعنى بتعليم الخطابة، والبلاغة، على الطريق الإغريقية؛ لأن تعلم الثقافة الإغريقية اعتبر المرحلة العالية في نظام التعليم الروماني. وأحياناً كان التعليم يشمل علم قياس الأرض، والموسيقى، إلى جانب الخطابة، والبلاغة. ولم تتدخل الدولة، بتأناً في التعليم، حتى عصر فسباسيا نوس، عام 69 ميلادية، عندما جعل الدولة تتكفل، لأول مرة، بدفع رواتب معلمي البلاغة، الإغريقية والرومانية^(٩١).

تنتهي مرحلة التعليم العادي عند بلوغ الابن سن السادسة عشرة، أو الرابعة عشرة، حيث يقام، في السابع عشر من شهر مارس / آذار من كل عام (عيد الفتية). وفيه يخلع الفتيان رداء الطفولة، وهي العباءة ذات الأطراف المزركشة الأرجوانية، ويضعون، بدلاً منها، عباءة الرجال، ويذهبون، لأول مرة، إلى القورم الروماني، حيث يقيدون أسماءهم في قوائم المواطنين. وجدير بالذكر أن بعض الشباب كانوا يبدأون المرحلة التأهيلية من التعليم، حيث يختار الابن إما المجال السياسي والمدني، حيث يعهد به إلى خبير من السياسة والإدارة، يصحبه إلى قاعات المحاكم، وإلى اجتماعات الفورم، أو المجال العسكري، حيث يعهد به إلى معلم عسكري يدربه، مبدئياً، على العسكرية، من أجل أن ينضم إلى صفوف

الجيش، فيما بعد، ليعمل ضابطاً فيه^(٩٢).

من الشخصيات العلمية التي عرفتها غزة، مطرانها بروفوريوس (395 - 420م)، وزوسيموس، الذي كان معاصراً للإمبراطور زينون (457 - 574م). ومنهم إينياس، الذي صنّف كتبه في ثمانينيات القرن الخامس، وبروكوبيوس، معاصراً للإمبراطور أنستاسيوس (491 - 518م)، وتلميذه كروكيوس. وكان آخر رجال غزة الكبار، يوحنا معاصر حبستيان (527 - 565). لقد ولد بروكوبيوس في الإسكندرية (حوالي سنة 465)، وتعلم في مدرستها، ثم دعى لتدريس البلاغة في غزة. وظل هناك، إلى حين وفاته

(527). وهناك زوبيوس، المولود في ألسا (الخلصة) في النقب، كان أستاذاً للبلاغة في أنطاكية. وكان سيريكوس النابلسي من أساتذة البلاغة في أثينا^(٩٣).

نضيف إلى لائحة الأسماء، يوسابيوس القيصري المؤرخ، ابن قيصرية فلسطين، وكان أحد المقربين من الامبراطور قسطنطين، ابيفانيوس، من بيت جبرين، وتيمونستوس العسقلاني، الذي وضع معجماً لاتينياً، وألف كتاباً في النحو. وهناك عالمان آخران من عسقلان، زوسيموس، وبطليموس. واثنان من قيصرية، هايوزيوس، وجيلاسيوس، وهناك، أيضاً، صفرونيوس التلحمي، وأنطيوخس العكي، وكيرلس المقدسي وهو غير الذي مر بنا. فهذا فلسطيني الأصل، لكنه عمل في آسيا الصغرى. وممن عُرف بمقدرته الفائقة، وعلمه الغزير، صفرونيوس (وهو غير صفرونيوس التلحمي، المار ذكره)، الذي تولى

بطريكية القدس (634 - 638)، وسلم المدينة المقدسة إلى الخليفة عمر بن الخطاب^(٩٤).

مثلت مدرسة غزة أرفع ما وصلت إليه المعرفة الكلاسيكية والمسيحية، في المشرق، في القرن السادس، حيث قامت بدور مهم في الحفاظ على الفكر الهليني، ونقله إلى المتعلمين، والإفادة من هذا التقليد نفسه، لتوضيح الفكر المسيحي. وقد عرفت مدرسة غزة، في القرن السادس، عددًا من المعلمين، والعلماء، كان الأبعد صيتاً، بينهم برلكوبيوس، وكوريكيوس^(٩٥).

لعل البعض يتساءل عن الصلة بين مدرسة غزة، ومكان المدينة، وزوارها. هل كانت المدرسة مجمعاً أكاديمياً، يقتصر العمل فيه على أساتذة يدرسون، وتلاميذ يتعلمون، والجميع ينقبون ويبحثون فحسب؟ وقد نجد الجواب في عبارة لكوريكيوس نفسه، وردت في أمدوحته الثانية لأسقف المدينة

” مركيانوس ” أنه يتحدث عن الأسواق، وما فيها، ومن يقضي وقته فيها والاحتفالات والأعياد التي كانت تقيمها المدينة. هذه الاجتراعات قديمة ووثنية، لكن غزة حافظت عليها، بعد أن جعلتها مسيحية الروح. كانت هذه المواسم جميعها مناسبات يحضر فيها القوم الاجتماعات، ليصغوا إلى ما يُلقى فيها من خطب، ووعظ، وشعر. ومع أن الجمهور هو الذي كان يحضر فإن ذلك لم يعن هبوطاً في المستوى الفكري، أو الأدبي، أو الفني. ويتضح بأن أثر غزة كان يصل إلى أنحاء مختلفة من فلسطين، وقد يتجاوز حدودها، أيضاً^(٩٦).

بالنظر إلى ما سبق، نجد أن التاريخ يعيد نفسه، فاليهود هم اليهودى، قديماً.. قاموا بالاتصال بالرومان، لكي يأتوا إلى فلسطين، ويستقوا بهم في بناء دولتهم، واليوم يستقوا بأمريكا، لكي تستمر انتهاكاتهم لحقوق الشعب الفلسطيني. ونجد أن الوجود الروماني في فلسطين قد أثرى النواحي الحضارية، والفكرية منها خاصة، كانت متعة لسكان المدن. صحيح أن عدداً لا يستهان به من القرى أو البلدان رفع إلى درجة مدينة تكريماً للسكان، أو إرضاء للزعماء، وهذا كان الأجزاء الشرقية، وبذلك أتيح لها أن يكون بها مسرح، وجمنازيوم، وما إلى ذلك، لكن هذا كان شيئاً ظاهرياً فحسب. وظلت هذه قرى كبيرة، وقد أسرع الخراب إليها، لأن نفقات الصيانة فيها كانت أكبر مما تستطيع " القرية " أن تتحملها. وظل الريف متأخراً بعض الشيء. أما الذي نفع فلسطين، إلى درجة كبيرة، فهو أن البلد صغير، والاتصال بين أجزائه يسير، وكانت فيه، في أوقات كثيرة، ثروة من التجارة، فكانت فيه مدن لا يستهان بها، في النقب، وفي أجزاء شبيهة بذلك. لكن الريف مع ذلك، ظل هو الذي يدفع الثمن الأكبر لما كان يقوم به الحكام من حروب، أو بناء، أو ما يتمتعون به من عيش خفيض.

فالضرائب كثيرة، وطرق جمعها قاسية بالنسبة للفلاح. فقد ظل يشقى ويُظلم.

كان اتصال " القصر "، بوصفه مقر الإدارة الإمبراطورية، بالشعب الفلسطيني، يتم عبر أجهزة متنوعة. فكان هناك الوالي، الذي كان يُعين من القسطنطينية، أو من ينوب عنه في الوحدات الأصغر. وفي بعض الجهات،

وفلسطين الثالثة كانت منها. كان الممثل المحلي للامبراطور، أي الحاكم، هو القائد العسكري (سواء سُمي سترا تغوس أو دوكس)، الذي كان يجمع بين الإدارة العسكرية والمدنية. هذان، أي الوالي، ومندوب الامبراطور، كانا حاكمين معينين.

ليس هناك شك في أن الحروب التي قامت، في تلك الفترة، لم يكن لأهل فلسطين فيها مصلحة قط، لذلك فقد زادت من نقمة السكان على الدولة.

* * *

مراجع الفصل الحادي عشر

- (*) اتفق المؤرخون على إطلاق اسم " الشرق الأدنى " على المنطقة التي تفصل بين الشرق الأقصى، وبين جنوب أوروبا، والمنطقة الممتدة من النيل إلى الفرات، هي قلب " الشرق الأدنى " .
- (١) سيد أحمد الناصري، مصر والشرق الأدنى في العصر الهلنسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩١، ص ٥ - ٦ .
- (٢) أحمد صدقي الدجاني، نظرة تحليلية في تاريخ فلسطين، الحلقة الثانية، شؤون فلسطينية، (بيروت)، عدد ٧٧، إبريل: نيسان ١٩٧٨، ص ١٢٤ .
- (٣) المصدر نفسه، ص ١٢٥ .
- (٤) الناصري، مصدر سبق ذكره ص ٢١٥ - ٢١٧ .
- (٥) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٩٠، (انظر نقولا زيادة، فلسطين من الإسكندر إلى الفتح العربي الإسلامي، ص ١٤٤ - ١٤٥) .
- (٦) المصدر نفسه، ص ١٤٥ .
- (٧) الدجاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٦ .
- (٨) يوسف سامي اليوسف، تاريخ فلسطين عبر العصور، دار الأهالي، دمشق، ١٩٨٩، ص ٩٢ - ٩٣ .
- (٩) المصدر نفسه، ص ٩٤ - ٩٥ .
- (١٠) عمر الصالح البرغوثي، وخليل طوطح، تاريخ فلسطين، مطبعة بيت المقدس، القدس، ١٩٢٣، ص ٧٧ - ٨٠ .
- (١١) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، (انظر: نقولا زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣) .
- (١٢) المصدر نفسه، ص ١٦٢ - ١٦٤ .
- (١٣) عبد الحليم محمد حسن، تاريخ مصر في عصر البطالمة، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٩١ - ١٩٢ .
- (١٤) المصدر نفسه، ص ١٩٣ - ١٩٥ .
- (١٥) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٤) .
- (١٦) الناصري، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٥ - ٣٠٧ .
- (١٧) فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، وعبد الكريم رافق، ج١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
- (١٨) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥ - ١٦٥) .

- (١٩) حتى، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٢.
- (٢٠) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩).
- (٢١) حتى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.
- (٢٢) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٦ - ١٦٧).
- (٢٣) حتى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.
- (٢٤) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٧ - ١٥٨).
- (٢٥) المصدر نفسه، ص ١٦٠.
- (٢٦) حتى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٩ - ٣٠٦.
- (٢٧) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٨ - ١٤٩).
- (٢٨) حسن، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٧ - ١٧٨.
- (٢٩) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩ - ١٥٠).
- (٣٠) المصدر نفسه، ص ١٥٢ - ١٥٣.
- (٣١) حسن، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٨ - ١٩٠.
- (٣٢) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٦).
- (٣٣) الدجاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٤.
- (٣٤) الناصري، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٧ - ٣٠٩.
- (٣٥) حتى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٥.
- (٣٦) الدجاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٩.
- (٣٧) الموسوعة، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٠).
- (٣٨) حتى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٢.
- (٣٩) البرغوثي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣.
- (٤٠) الناصري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٧ - ٣٠٠.
- (٤١) الموسوعة، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٤.
- (٤٢) الدجاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨.
- (٤٣) فيصل الخيري، مدن فلسطينية، المركز العربي للإعلام، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٥٣ - ٥٤.

- (*) مقولة للخطيب الروماني، شيشرون.
- (٤٤) ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٥ - ١٦.
- (٤٥) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٩٠، (انظر: نقولا زيادة / فلسطين في العهد الروماني، ص ٢٤٠ - ٢٤٢).
- (٤٦) خان، مصدر سبق ذكره، ص ١٨ - ٢٠.

- (٤٧) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٤).
- (٤٨) المصدر نفسه، ص ١٧٥.
- (٤٩) خان، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤.
- (٥٠) سيد أحمد على الناصري، تاريخ وحضارة الرومان، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩١، ص ٣٢١ - ٣٢٢.
- (٥١) المصدر نفسه، ص ٣٢٣.
- (٥٢) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٦).
- (٥٣) المصدر نفسه، ص ١٧٧.
- (٥٤) خان، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤ - ٨٥.
- (٥٥) المصدر نفسه، ص ٨٦ - ٨٧.
- (٥٦) ول ديورانت، قصة الحضارة، المجلد السادس، قيصر والمسيح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٦.
- (٥٧) المصدر نفسه، ص ٢٧ - ٢٨.
- (٥٨) المصدر نفسه، ص ٢٨ - ٢٩.
- (٥٩) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٨ - ١٧٩).
- (٦٠) المصدر نفسه، ص ١٧٩ - ١٨٠.
- (٦١) ديورانت، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٥ - ١٨٦.
- (٦٢) المصدر نفسه، ص ١٨٩ - ١٨١.
- (٦٣) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة مصدر سبق ذكره، ص ١٨١).
- (٦٤) المصدر نفسه، ص ١٨١ - ١٨٢.
- (٦٥) خان مصدر سبق ذكره، ص ٨٩ - ٩١.
- (٦٦) المصدر نفسه، ص ٩١ - ٩٢.
- (٦٧) المصدر نفسه، ص ٩٢ - ٩٤.
- (٦٨) المصدر نفسه، ص ٩٤ - ٩٥.
- (٦٩) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢ - ١٨٤).
- (٧٠) المصدر نفسه، ١٨٤.
- (٧١) المصدر نفسه، ص ١٨٥.
- (٧٢) المصدر نفسه، ص ١٩٥ - ١٩٧.
- (٧٣) ديورانت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢ - ٢٦.
- (٧٤) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة مصدر سبق ذكره، ص ١٩٠).
- (٧٥) الناصري، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤ - ١١٠.

- (٧٦) الموسوعة الفلسطينية مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٢ - ٢٠٣).
- (٧٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٣ - ٢٠٧.
- (٧٨) المصدر نفسه، ص ١٨٦ - ١٨٧.
- (٧٩) ديورانت، المجلد الخامس، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٨ - ١٦٠.
- (٨٠) الموسوعة الفلسطينية مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٧).
- (٨١) المصدر نفسه، ص ١٨٨ - ١٨٩.
- (٨٢) المصدر نفسه، ص ١٨٩.
- (٨٣) المصدر نفسه، ص ١٨٩ - ١٩٢.
- (٨٤) ديورانت، المجلد الخامس، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٧.
- (٨٥) المصدر نفسه، ص ١٣٩ - ٢٤٢.
- (٨٦) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، (انظر زيادة مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢ - ٢١٣).
- (٨٧) ديورانت، المجلد السادس، مصدر سبق ذكره، ص ١١٨ - ١٢٦.
- (٨٨) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٥).
- (٨٩) المصدر نفسه، ص ٢١٥ - ٢١٦.
- (٩٠) المصدر نفسه، ص ٢١٦ - ٢١٨.
- (٩١) الناصري، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢.
- (٩٢) المصدر نفسه، ص ١٠٣ - ١٠٤.
- (٩٣) الموسوعة الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، (انظر: زيادة، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٤ - ٢١٦).
- (٩٤) المصدر نفسه، ص ٢١٦ - ٢١٧.
- (٩٥) المصدر نفسه، ص ٢١٧ - ٢٢١.
- (٩٦) المصدر نفسه، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.
